بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة ام القرى

مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية

قسم المخطوطات

بداية المخطوطة

١٢١

رسالة ابن زيدون
في التواريخ
1167
٩٢

شرح رسالة ابن زيدون التهكمية

سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون

لابن نباتة المصري

المتوفى سنة ٧٦٨

جامعة أم القرى / مكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH
٤٧١٥

لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من منن الله تعالى على عبده الضعيف
الحسني اصلح الله تعالى حاله وختم
بالصالحات اعماله امين
في شهر رمضان المبارك
سنة ١٢٤١

شرح رسالة ابن زيدون

للشيخ

جمال الدين محمد بن محمد بن نباته المصري المتوفى ٧٦٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يحب الحمد الا له وصلى الله على سيدنا
محمد المخصوص بأشرف رساله وعلى آله وصحبه فما افضل
واكرم صحبه وآله وادام الله ايام مولانا السلطان الملك
المؤيد العالم العادل عماد الدنيا والدين ادامة متصلة الجلاله
مقبلة الاباله ماجت عسل النصر الشهي رماحه العتاله
واثمرت غصون اقلامه المنعة بين دميم انامله الهطاله
من فروض نعمه علي وقروض منه لدي ان ادعو
لايامه المكرمه كلما صليت على نبي الرحمة واذكر من
اصلح لنا امور الدنيا القائمه كلما ذكرت من اصلح
امور الدين القيمه طلبا لاجابة الدعاء واثابة الرجاء
فصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وانعما
ببقاء من سبقت مواهبه الغيث فصلى واعجزت فسلم
وبعد فاني امرت بشرح رسالة الوزير ابي الوليد
ابن زيدون الآتي ذكرها وايضاح براهينها الغامض

على

على سراة الادب سترها نقلت ما انا وصعود هذا الصرح
وولوج هذا السرح ومعارضة ذلك البز ولست من
ذلك الطرح وهل انا الا صاحب ابيات تقيمها القريحة
المطبوعة وكلمات تاتي على العفو فقرها المسجوعة فمتى
اخرجت عن ظل ابياتي ظلمت ومتى ابعدت عن رياض
سجعي الت هذا مع تشعب فنون هذه الرساله
واحجام الفضلاء عن الخوض في غمرها التياله فقيل
لي انا نختصر من شرحك على الاختصار ونهب تقصيرك
لما قدمت بين يدي نجواك من الاعتذار ونرضى من
بيانك باليسير من القصص ونقنع من تاريخ التاريخ
ببعض الفرص واذا كنت من الشعراء فانت ببعيد
من القصص • فقابلت بالطاعة امرا قد وجب • وقلت
ان فاتني سلوك الادب فان الامتثال من سلوك الادب
وكنت اعرف ببعض خزائن دمشق الوقفية اسفارا فيها
للطالب منجح وللافهام الناسية ذكرى تنفع فلم يتهيأ
ان اعارها منها كتابا ولا اراجع من حروف السنتها خطابا
فقلت هذا عذر آخر لم يكن في الحساب وهذا قصد
تعلقت دونه الكتب فانها ذات ابواب ومابقي الا الرجوع
الى صبابة الحاصل التي ابقتها نوب الدهر واستنباط

الشدائد اعجز ورود البحر ثم اثبت هذه الرسالة عن
فكرمسة القرخ • وشرحت الاانني مقصر • وما اطيل
الشرح • بيد اني لم اعتمد الا على نقل صحيح • ونسب
قول صريح • ولم اخل ترجمة كل مذكور من فايدة سارة
ونادرة حارة • واقوال سديده • وابيات ونقر ما
اخطاتها فطنة سعيدة • لم آل في اختيارها جهدا
ولا زدت مع صرف الزمان الا نقدا • هذا مع تجنب
الاكثار • وترك الاجلاب بنظاير الاشعار • والتخفيف
ما لعل الباحث تقتضيه من الغبار • والله تعالى
الموفق للصواب الاراده • ومعين الخدم على القيام بطاعة
السادة • وجابر وهنهم بما يتلقونه من امتثال اوامرهم
الساده ذكر قايل هذه الرساله هو الوزير
ابو الوليد احمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون
المخزومي الاندلسي الكاتب الشاعر المشهور ولد بقرطبة
سنة اربع وتسعين وثلاث ماية وكان من ابناء الفقهاء
المتعينين واشتغل بالادب وفحص عن نكته • ونقب عن
دقايقه • الى ان برع وبلغ من صناعتي النظم والنثر المبلغ
الطايل وانقطع الى ابي الوليد بن جهور احد ملوك الطوايف
المتغلبين بالاندلس فحف عليه وتمكن من دولته

واشتهر ذكره وقدره واعتمد عليه في السفارة بينه
وبين ملوك الاندلس فاعجب به القوم وتمنوا سيله اليهم
لبراعته وحسن سيرته واتفق ان نقم عليه ابن جهور امرا
فحبسه واستعطفه ابن زيدون برسايل عجيبة فلم
تنجع فهرب واتصل بعباد بن محمد صاحب اشبيلية الملقب
بالمعتضد فتلقاه بالقبول والاكرام وولاه وزارته و
فوض اليه امور مملكته وكان حسن التدبير تام الفضل
متحببا الى الناس فصيح المنطق جدا حكى بعض وزراء
اشبيلية قال عهدي بابي الوليد بن زيدون قايما على
جنازة بعض حرمه والناس يعزونه على اختلاف
طبقاتهم فما سمعته يجيب احدا بما اجاب به غيره لسعة
ميدانه وحضور جنانه ولم يزل عند عباد وعند ابنه
المعتمد على الله قايم الجاه وافر الحرمة الى ان توفي
باشبيلية سنة ثلاث وستين واربع ماية تغمده الله
برحمته • وقد ذكر ابن حيان وابن بسام وغيرهما من
المورخين واجروا نبذا من اخباره وفضايله ووقفت
على ديوان شعره وكثير من ترسله • ونظمه عند النقاد
اجود من نثره • وكان يسمى بحتري الغرب لحسن
ديباجة لفظه • وسهولة معانيه فاما نثره فانه اكثر فيه

استعمال امثال العرب وحل اشعارهم المتقدمين
والمتاخرين الى ان قيل ان رسايله اشبه بالمنظوم من
المنثور وعلى ذلك فقد دل بها على اطلاع معجب واستحضار
معجز وقد اكتفيت منها بذكر هذه الرسالة المشروحة
ومن شعره قال من قصيدة يخاطب بها ابن جهور
أيام سجنه شعر

ما جال بعدك لحظي في سنا القمر • الا ذكرتك ذكر العين للأثر
ولا استطلت دماء الليل من أسف • الا على ليلة سرت مع القصر
يا ليت ذاك السواد الجون متصل • قد استعار سواد القلب والبصر

منها

جمعت معنى الهوى في لحظ طرفك لي • ان الحوار المفهوم من الحور
لا يهتدي الشامت الرتاح خاطره • اني معنى الا ماني ضايع الخطر
هل الرياح بنجم الارض عاصفة • ام الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال في السجن ايداعي فلا عجب • قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
وان يثبط ابا الحزم الرضى قدره • عن كشف ضري فلا عتب على القدر
من لم ازل من ثنايه على ثقة • ولم ابت من تجنيه على حذر

وقال من ابيات في بني جهور شعر

بني جهور احرقتم بجفائكم • جناني فما بال المدايح تعبق
تعدونني كالعنبر الورد انما • تطيب لكم انفاسه حين يحرق

وقال

وقال فيهم من ابيات

ان الجهاورة الملوك تبوؤا • شرفا جرى معه التمام جنيبا
فاذا دعوت وليدهم لعظيمة • لبّاك رقراق الجناح اريبا
همم تعاقبها النجوم وقد تلا • في سودد منها العقيب عقيبا
ومحاسن تندى رقايق ذكرها • فتكاد توهك المديح نسيبا

وقال من قصيدة يمدح المعتضد هو ابن عباد

اما في نسيم الريح عرف يعرف • لنا هل لذات الوقف بالجزع موقف

ومنها

وليلة وافتا الكثيب لموعد • سرى الايم لم يعلم بمسراه مرجف
تهادى اناة الخطو مرتاعة الحشا • كما ريع يعفور الفلا المتشوف
فديتك اني زرت نورك فاضح • وعطرك نمام وحليك مرجف
هبيك اعتسفت الحي واشيك ناجع • وفرعك غربيب وليلك اغضف
فكيف اطقت المشي خطوك مدمج • ورد فك رجراج وخصرك اهيف

ومنها

فما قبل من اهوى طوى البدر موجا • ولا ضم ريم القصر خدا مسجف
ولا قبل عباد حوى البحر مجلس • ولا حمل الطود المعظم رفرف
روينه في الحادث الا ذ لحظة • وتوقيعه الجالي دجى الخطب احرف
طلاقة وجه في مضاء كمثل ما • يروق فرند السيف والحد مرهف
على السيف من تلك الصراحة ميسم • وفي الرمض من تلك الطلاقة زخرف

القفر

اظن الاعادى ان حزمك نائم لقد تعد الفل الظنون فتخلف

ومنها

ولما قضينا ما علينا اداءه وكل بما يرضيك داع فملحف
رأيناك فى اعلى المصلى كانما تطلع من محراب داود يوسف

وقال من مرثية

يا من شأى الامثال منه مهذب ضربت له فى السودد الامثال
نقصت حياتك حين فضلك كامل هلا استضاف الى الكمال كمال
حيا الحيا مثواك وامتدت على ضاحى ثراك من النعيم ظلال
فلئن اذالك بعد طول صيانة قدر فكل مصونة ستذال

وقال من الغزل وهو من المجيدين فيه

بينى وبينك ما لو شئت لم يضع سر اذا ذاعت الاسرار لم يذع
يا بايعا حظه منى ولو بذلت لى الحياة بحظى منه لم ابع
يكفيك انك ان حملت قلبى ما لا يستطيع قلوب الناس يستطع
ته أحتمل واستطل أصبر وعز ان وول اقبل وقل اسمع ومر اطع

وقال من قصيدة

اتارجا قلبى فانت جميعه يا ليتنى اصبحت بعض رجاك
يدنو بوصلك حين شط مزاره وهم اكاد به اقبل فاك

وقال من اخرى

انى ذكرتك بالزهراء مشتاقا والافق طلق ومرأى الروض قد راقا

وللنسيم اعتلال فى اصائله كانه رق لى فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضى مبتسم كما حللت عن اللبات اطواقا

منها

لاسكن الله قلبا عن ذكركم فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملى نسيم الريح حين سرى وافاكم بفتى اضناه ما لاقا
فالآن احمد ما كنا بعهدكم سلوتم وبقينا نحن عشاقا

وله القصيدة النونية التى أولها بنتم وبنا وهى أشهر من ان تذكر وقد تداولتها الالسنة وزيد فيها ما كانت غنية عنه وفضايل الرجل متمكنة وكفى بهذا القدر عنوانا لها ذكر سبب انشاء هذه الرسالة كان بقرطبة امراة ظريفة من بنات خلفاء الغرب المنسوبين الى عبد الرحمن ابن الحكم المعروف بالداخل من بنى عبد الملك بن مروان تسمى ولادة بنت المستكفى بالله محمد بن المستظهر بالله عبد الرحمن ابتذل حجابها بعد نكبة ابيها وقتله وتغلب ملوك الطوايف فى خبر يطول وصارت تجلس للشعراء والكتاب وتعاشرهم وتحاضرهم ويتعشقها الكبراء منهم وكانت ذات خلق جميل وادب غض ونوادر عجيبة ونظم جيد فمن ذلك ما كتبت به لابن زيدون وهى راضية عنه

توقب اذا جن الظلام زيارتى فانى رايت الليل اكتم للسر

وَلِي مِنكَ مالَوكانَ بالبَدرِ بانَ وَبالليلِ لم يظلم وَبالنجمِ لم يَغِر

وَقولها وَهي عليهِ غضبى

اِنَّ ابنَ زيدُونَ على فضله يلمحُ لي شتما ولا ذنبَ لي

يلحظني شزرًا اِذا جئتُهُ كانما جئتُ لاخصي عَلي

تعني غلامًا له يُسمّى عَليًّا وَكانَ سببُ قولها فيه هَذا

الشعرِ اَنَّ اتهمها بمواصلة الوزيرِ ابي عامرٍ ابن عَبدُوس وكانَ

يُلقّبُ بالفارِ فقالَ فيه وَفيها

عَيّرتمونا بانَ قدْ صارَ يخلفُنا فيمَن نحبُّ وَما في ذاكَ من عارِ

اكلُّ شيءٍ أُصبنا من اطايبه بعضًا وَبعضًا صفحنا عَنهُ للفارِ

وَمن شعرِها ما كتبتْ بهِ عَلى كُمّيتها

انا واللهِ اصلحُ للمعالي وَامشي مشيتي وَأتيهُ تيها

وَامكنُ عاشقي من صفحِ خدّي وَأعطي قُبلتي مَن يشتهيها

وَمتا ينسبِ اليها

لحاظُكمُ تجرحُ انى لحشا وَلحظنا يجرحكمْ في الخدودْ

جُرحٌ بجُرحٍ فاجعلوا اذا بذا فما الذي اَوجبَ جُرحَ الصدودْ

وكانَ ابن زيدُون كثيرَ الشغفِ بها وَالميلِ اليها واكثرَ

غزلَ شعرٍ فيها وَفي اسمِها ثمّ انَّ الوزيرَ اباعامرٍ ابن عَبدُوسٍ

ايضا هامَ بها وكلفَ بعشرتها وكانَ قصدُهم الظرفَ

وَالادبَ وكانت وَلّادة كثيرةَ العبثِ بهِ وَلها معهُ نوادرُ

لطيفة مرّت يومًا بدارهِ وَهوَ جالسٌ وامامَه بزكة تتولّدُ من

مَواضي وَاقذارٍ وَحولهُ جماعة من اصحابه فوقفتْ عليه وَقالت

اَباعامرٍ

اَنتَ الخصيبُ وَهذه مِصرُ فَتدفقا فكلاكما بحرُ

فلمْ يحرْ جوابا وَمضتْ وكانَ كثيرًا ما يختدعُها وَيبغي التفرّدَ

بها وَفي ذلكَ يقولُ لهُ ابن زيدُون

وَغرّك من عَهدٍ وَلادةٍ سَرابٌ تراءى وَبرقٌ وَمضْ

هيَ الماءُ يابى عَلى قابضٍ وَيمنعُ زُبدتَهُ من مخضْ

ثمّ انهُ ارسلَ اليها امراة من جهتهِ تستميلها اليهِ وَتذكرُها

محاسنهُ وترغبها فيهِ فبلغَ ابن زيدُون ذلكَ فانشاَ هَذهِ

الرسالة البديعة تتضمّنُ عرضَهُ من سبِّ ابي عامرٍ وَالتهكّمِ بهِ

وَالهجاءِ لهُ وجعلها جوابا لهُ عن لسانِ وَلّادة وارسلها اليهِ

عَقيبَ رجوعِ المراة فبلغتْ منهُ كلَّ مبلغٍ وَاشتهرَ ذكرُها في

الآفاقِ وَامسكَ ابن عَبدُوس عَن التعرّضِ لوَلّادة الى اَن انتقلَ

ابن زيدُون الى اشبيلية وَماتَ تغمّدهم اللهُ برحمتهِ وَغفرَ

لنا ولهم بمنّهِ وكرمهِ ذكرُ الرسالة وشرحُها كما رسمَ اَمّا بعدُ

اَيها المصابُ بعقلهِ، المورّطُ بجهلهِ، اَمّا حرفُ يقتضي معنى

احدِ الشيئينِ وَيبتدأُ بهِ الكلامُ وبعدَها هُنا تستعملُ في

الترتيبِ الصناعي وتقديرُ اَمّا بعدُ مهما يكنْ بعدُ وهي كلمة

يبتدى بها كثير من الخطباء والكتاب كلامهم الحمد ورسايلهم
المحررة كانهم يستدعون بها الاصغا لما يقولون ولذلك
فخر بها سحبان فقال

وقد علمت قيس بن غيلان انني اذا قلت اما بعد اني خطيبها

وكثيرا ما تاتى عقيب قول الحمد لله وتسمى هنالك فصل
الخطاب كانها فصلت بين الكلام الاول والثانى وتاتى عقيب
البسملة وتاتى ابتدآ كانها عقيب الفكر والروية واول
من قالها داود عليه السلام وقيل انها فصل الخطاب المذكور
فى الكتاب العزيز وقيل ان اول من قالها قس بن ساعدة
والاول اصح وانما قس اول من خطب بها فى العرب وكتبها
اول الكتب على ما ذكر المصاب اسم لمن نزلت به نايبة او
مصيبة واصاب السهم اذا وصل الى المرمى بالصواب والمصيبة
اصلها فى الرمية ثم اختص بالنايبة العقل المعرفة
المستعملة فى تحرى النفع وتجنب الضرر ولاهل اللغة والمتكلمين
فى اشتقاقه ومعناه اقوال كثيرة قيل اشتق من عقل الناقة اذا
شد وظيفها مع ذراعها بجبل يمنعها من الشرود فكانه يمنع
الانسان مما يميل اليه من الهوى ومن عقل الناقة سميت
الدية عقلا لانها تعقل بفناء المقتول اولانها تحبس الدم
وقيل اشتق من المعقل وهو الملجا يقال عقل الوعل اذا التجا

الى جبل يمنعه فكان الانسان يلتجى اليه فى احواله وقيل
غير ذلك واكثر المعانى مشتركة فى الاشتقاق وقال الجاحظ
العقل اسم يقع على المعرفة بالصواب وايثاره اذا اقترنا
فى زمان وكان العلم علة للعمل وقيدا له فاذا دعا الرجل
علمه بالمحاسن الى العمل بها ونهاه علمه بالمساوى عن العمل
بها صار قيدا لعلمه وكان كالعقل لما استحسنه فاذا عقلته
عليه وحبسه كما يحبس الجمل قالوا عاقل وقال الراغب
العقل يقال للقوى المتهيئة لقبول العلم ويقال للعلم
الذي يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ولهذا قال
امير المومنين رضى الله عنه العقل عقلان مطبوع ومسموع
ولا ينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء
العين ممتنع والى الاول اشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله
ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والى الثانى اشار
بقوله ما كسب احد شيا افضل من عقل يهديه الى هدى
او يرده عن ردى وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم
العقل فاشارة الى الثانى دون الاول وكل موضع رفع فيه
التكليف عن العبد لعدم العقل فاشارة الى الاول وقال
بعض الحكماء هو جوهر بسيط وقال آخرون هو جسم
شفاف ومحله الدماغ وبعض العلماء يقول محله القلب

ويستدل بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها
وقوله لمن كان له قلب اي عقل وقال الجاحظ هو مادة
تولد من الاغذية المقوية للعصب فلذلك كان البلاذر
جيدا له والبصل مضر به ولذلك يقال يفسد الباذنجان
في شهر ما يصلحه البلاذر في عام ويزعم قوم انه هيئة
تحصل بالتربة ولذلك فسدت اذهان المعلمين لمخالطتهم
الصبيان الورطة الهلاك قال رؤبة

فاصبحوا في ورطة الاوراط واصل الورطة ارض
مطمئنة لا طريق فيها رمبا هلك الواقع بها ومنه الورط
الخديعة وفي الحديث لا خلاط ولا وراط الجهل ضد
العلم سميت المفازة مجهلة كانه جهل كيف الطريق منها
وقال الراغب الجهل على ثلاثة اضرب الاول خلو النفس من
العلم هذا هو الاصل وقد جعل قوم العلم معنى مقتضيا
للافعال الجارية على النظام والجهل معنى مقتضيا للافعال
الجارية على غير النظام والثاني اعتقاد الشيء بخلاف ما هو
عليه والثالث فعل الشيء بخلاف ما حقه ان يفعل سواء
اعتقد فيه اعتقادا صحيحا او فاسدا البين سقطه
الفاحش غلطه السقط ما لا يرضى ومنه سقط المتاع رديه
وسقط القول خطاه وسقط في يد الرجل اذا فعل ما يندم

عليه وقال الاخفش اسقط وهو غير مستعمل والاصل السقوط
وهو طرح الشيء من العالي الى المنخفض والفاحش ما عظم
قبحه من الاقوال والافعال ومنه الفاحشة الفعلة
القبيحة سميت فاحشة وصار علما عليها والغلط الخروج
عن الصواب نطقا او فعلا تقول العرب غلط وغلت بالتاء
زعم قوم انهما لغتان وزعم قوم ان غلط انما يقال في المنطق
وغلت انما يقال في الحساب العاثر في ذيل اعتراه الاعمى
عن شمس نهاره العثار السقوط وما قاربه والاعتراء الغفلة
واستعارة الذيل والعثار للغافل حسنة والفقر مناسبة
لما قبلها وبعدها والعمى يقال في افتقاد البصر ويقال فيه اعمى
وعم وعمي البصيرة اشد ولذلك لم يعد الله تعالى افتقاد
البصر عمى في جنب افتقاد البصيرة حين قال فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وشمس النهار
هاهنا كناية عن الصواب الواضح الذي تركه هذا
المكتوب اليه وعمي عنه حتى تعرض للذم او كناية عن
مقدار هذه المرأة التي هي كالشمس حتى طلب منه ما لا
يصل اليه الساقط سقوط الذباب على الشراب الذباب
في اللغة يقع على هذا المعروف من الحشرات وعلى النحل والزنابير
ونحوها قال الجاحظ ومن الدليل على ان اجناس النحل والدبر